طبيعة الفعل الاخلاقي وعلاقته بوجود الله في فلسفة كانت الاخلاقية

أ. م .د. باقر ابراهيم الزيدي

جامعة واسط / كلية الآداب/ قسم اللغة الفلسفة

تاريخ الاستلام : 27-08-2021

تاريخ القبول : 20-12-2021

ملخص البحث:

لقد قلب كانت الوضع الطبيعي لفلسفة الاخلاق رأسا على عقب ،فهو بعد ان انكر استحالة قيام الميتافيزيقا عاد فأعطى للميتافيزيقا مشروعية ما لا لشيء الا ليحتفظ للأخلاق ومعانيها بقيمة ما فقال باستحالة الاستغناء عن الميتافيزيقا بعبارة اخرى انه هدم بيده البناء الذي اشاده. فمن اجل بناء منظومته الاخلاقية اكد اهمية افتراض وجود الله كمفهوم مركزي في المنظومة الاخلاقية فاذا كان العقل المحض عاجز عن اثبات وجوده فأن العقل العملي يصر على وجوده من اجل انقاذ الاخلاق .

كلمات مفتاحية : اخلاق – عملي – نظري – واجب – الفعل الاخلاقي – وجود الله – كانت – الامر المطلق

The Nature of Moral Acts and its Relationship to the Existence of God in Kant's Moral Philosophy

Receipt date: 2021-08-27

Date of acceptance: 2021-12-20

Abstract:

Kant turned the normal situation of moral philosophy upside down, and after he denied the impossibility of metaphysics, he returned and gave metaphysics a legitimacy that nothing but to preserve morals and their meanings with some value. To build his moral system, he stressed the importance of assuming the existence of God as a central concept in the moral system. If the pure reason is unable to prove its existence, the practical mind insists on its existence to save morals.

Keywords: Ethics ,Practical , Theoretical , Duty , Moral Action , Existence of God , Kant – Categorical imperative

المقدمة:

لازلت الإشكالية الأخلاقية تطرح نفسها بقوة كبيرة في الميدان الفلسفي ، وان خفت حدة الاستقطاب الأيديولوجي بين مختلف النظريات والتيارات الفكرية الأخلاقية. لكنها لم تختفي تماما .انطلاقا من هذا التصور، اصبح البحث الأخلاقي مطلبا فلسفيا وعلميا ملحا في الدوائر الفلسفية والفكرية ومؤسسات مختلفة وجدت نفسها انها بحاجة الى منظومة اخلاقية مؤسسة فلسفيا وفكريا بصورة صلبة ، فشكل هذا المطلب منطلقا للدراسات الأخلاقية الثرة في النصف الثاني من القرن العشرين . ن انها شبه عودة الى الفلسفة الاخلاقية النظرية ،ونمو لتيارات فكرية جديدة ،مع اعتراف باهمية الجدل الاخلاقي وتعدد المناقشات في اكثر من اتجاه اخلاق نظرية حياتية ، اخلاق نظرية تجارية ،ارادة اضفاء الصبغة الاخلاقية النظرية على الفضاء العام بما فيها الشأن السياسي ...الخ فكل شيء يوحي وكأن هذه السنوات هي سنوات تجدد اخلاقي (جاكلين روس . ص٩) ومثلما هو تجدد مثلما هي عودة لكانت وفلسفته الاخلاقية فمثلما يقول دولوز كلما المت بنا ازمة– يقصد الغرب – نعود لكانت .

لكن لماذا كانت الان ؟ هل من الممكن ان نرتقي بكانت كمرجعية فكرية لنا من اجل بناء فكر فلسفي عربي معاصر ؟ بعد ان تهنا في مرجعيات غريبة لم تحقق المطلوب والمرجو من اتخاذها ماركس مثلا وقبله ديكارت .

نعم ذلك ان الاعياء الميتافيزيقي الذي يثقل كاهلنا من فرط حمولة الذاكرة التاريخية هائل ،فلنراهن على المخاطرة بعقولنا في دروب سار فيها كانت مترددا ومجاملا احيانا ومخاطرا احيانا اخر . نحن نحاول ان نقدم كانت الغائب عن الثقافة العربية ،لان ما تعرفه هذه الثقافة من فلسفة كانت هو تراثه النقدي ،اي كتبه في نقد العقل ،لكن يبدو انها لم تقرأ بعد او تجاهلت عن عمد فلسفة الدين لديه وبالأخص كتابه (الدين في حدود مجرد العقل –١٧٩٣) فنحن نجد انطلاقا من هذا الكتاب ان الغرب قد انخرط في ضرب من الحداثة الدينية بالتوازي مع ممارسته للحداثة العلمية والسياسية ، فوجد الغرب في كتاب كانت هذا معالجة عقلية طريفة للدين قائمة على مكاسب العقل الحديث وصورة المجتمع المدني وبخاصة مبدأ الحرية واخلاق المواطنة الكونية. (ام الزين ،ص٤٤–٤٥)

ويمكن القول هنا ان كانت بفلسفته الدينية والاخلاقية يشكل مطلبا فكريا ليساعدنا في فهم طبيعة الحداثة الغربية من جهة وعلى امكانية انبثاق حداثة دينية في افق ثقافتنا العربية الاسلامية .

من هنا كانت نقطة الشروع في كتابة هذا البحث ،وما ينبغي الالتفات اليه هنا هو تصميم كانت الراسخ على مركزية العلاقة بين الدين بمحوره الاساس وهو: وجود الله والزامية الفعل الاخلاقي وهو مايسعى البحث الى استجلائه من خلال استعراض طبيعة المحاججة الكانتية بهذا الصدد.

مفهوم الواجب

يشكل مفهوم الواجب الكانتي مفهوما مركزيا في المسألة الأخلاقية ويؤسس لجوهر التفكير الفلسفي في المجال الأخلاقي فيما بعد كانت فلا يمكن التقهقر الى ماقبل كانت في هذه المسألة . الواجب هو نداء الضمير الانساني النقي ، وهو يمارس وظيفة القسر والإلزام في مجال الحياة الأخلاقية بشكل تلقائي سواء أكان هذا الإلزام داخليا نابعا من الذات، أو خارجيا تفرضه الحياة الاجتماعية بما تنطوي عليه من معايير أخلاقية. ان الواجب يأخذ صورة إلزام أو التزام يؤديه المرء حتى وإن تعارض مع مصلحته الشخصية وميوله الطبيعية. وفي بحثه عن مبدأ قبلي يحكم الارادة ،سواء في كتابه تأسيس ميتافيزيقا الاخلاق او نقد العقل العملي انما كان يسعى الى ايجاد مبدأ يقيني قبلي يؤسس عليه الاخلاق بصورة مطلقة .وبما ان هذا المبدا اليقيني والقبلي الذي ينظم كل سلوكنا هو امر او وصية فانه لايسمح باستثناءات لذا فهو مطلق لذا فان كانت يسميه "الامر المطلق "،ويعتقد كانت انه ان اي موجود عاقل اذا كان امينا ،فأنه ينبغي ان يسلم بهذه القضية الواضحة بذاتها وهي :ان الشيء الخير الوحيد الممكن تصور وجوده في العالم هو "الارادة الخيرة– Good will " بمعنى نزعة متأصلة ونقية لعمل الخير بغض النظر عن اي شيء اخر ،فحتى الفضائل الظاهرة مثل الشجاعة والاحسان ومساعدة الاخرين يمكن ان تستخدم بطرق خبيثة ،وبالتالي لايمكن ان نعتبرها خيرة بصورة ذاتية ومطلقة من دون بعض التحفظات. اما الارادة الخيرة التي يكون عملها فقط نابعا من احترام مبدأ الواجب بغض النظر عن النتائج ولايهمها ان نجحت محاولاتها او لا ،او ان الظروف اعاقت تحقيق هذه المحاولات والجهود ،فانها تبقى خيرة في ذاتها .انها اشبه بجوهرة تتلألأ بذاتها ولايمكن ان تفشل في ابهار المشاهد غير المتحيز .هذه الارادة الخيرة تطيع وتخضع للامر المطلق الذي يصوغه ويقدمه كانت بطرق متعددة:

"لا تفعل الا بما يتفق مع المبدأ الذي تريد ان يصبح قانونا عاما للطبيعة والذي بناءا عليه يمكن ان يسلك كل شخص اخر " وايضا " عامل كل موجود بشري، بما في ذلك نفسك ،بوصفك غاية في ذاته ولا تعامله بوصفه وسيلة لمصلحة اي شخص اخر " وهناك صياغة ثالثة للأمر المطلق لا تبتعد كثيرا عن الصياغة الثانية وهي " ينبغي على المرء ان يفعل باستمرار كما لو

كان عضوا في مملكة غايات مثالية التي يكون فيها كل شخص صاحب سيادة ورعية بنفس الوقت " . ان هذه الصياغات للامر المطلق انما هي قانونا الاخلاقي المنسجم مع طبيعتنا العاقلة الملتزمة بمبدأ الواجب، وكل مخالفة لهذا المبدأ والتي تدفعنا لها مشاعر وميول متناقضة مثل الرغبة في اللذة ،انما تكون عدم استقلال ويكون فيها الشخص عاقلا ولكن ليس حرا ،فنحن لانكون مستقلين ذاتيا واحرارا الا عندما نفعل بصورة عاقلة ونؤدي واجبنا .فالارادة تكون حرة عندما فقط تسلك وفقا لقانون الواجب الاخلاقي .(كيلي رايت .ص٢٧٨-٢٨١)

لذا يأخذ الواجب مكانا مركزيا في أعمال كانت الأخلاقية ويشكل حجر الزاوية في منظومته الفلسفية الأخلاقية. فحتى تكون الحياة جديرة حقا بأن تعاش لابد للأخلاق ان تخضع لمطالب الواجب وضرورته الكونية، وهو ينطلق من أعماق الحياة الوجدانية للفرد التي تستظل بمعاني الحرية والاستقلال. ويترتب على الإنسان الأخلاقي وفقا لهذه الرؤية أن يمارس الفعل الأخلاقي على صورة الواجب الذي يتميز بالعقلانية والشمولية والكونية، حتى وإن تعارضت متطلبات هذا الواجب مع مقتضيات ميولنا ورغباتنا الذاتية. وتستمد رؤية كانت هذه مشروعيتها من مشروعية العقل الكوني للإنسانية ، حيث يتوجب احترام القانون الأخلاقي الذي يحكم الجميع ليتمكن الفرد من العيش المشترك مع الآخرين في وئام وسلام تحت مظلة المساواة والقانون. فالعقل الكوني يشكل مصدر الواجب والحياة الأخلاقية برمتها. ويشترط كانت في الواجب أن يكون مجردا من كل غاية نفعية أو ذاتية.(بدوي.ص١٥١-١٥٤)

لقد قلب كانت الوضع الطبيعي لفلسفة الاخلاق رأسا على عقب ثم عاد فاعطى للميتافيزيقا مشروعية ما لا لشيء الا ليحتفظ للأخلاق ومعانيها بقيمة ما فقال باستحالة الاستغناء عن الميتافيزيقا بعبارة اخرى انه هدم بيده البناء الذي اشاده. وقبل ان نبين اهمية افتراض وجود الله في المنظومة الاخلاقية الكانتية لنستعرض قليلا رايه منذ البداية

أن من يتفحص طروحات كَنتْ حول الله ، فإنه انما يشاهد الحقبة السابقة من التنظير والتأمل اللاهوتي ملخصة ، كما انه يشاهد التطورات اللاحقة على هيئة نوى جنينية تدرك ضمنا في كتاباته. فقد أقنع التدريب الديني المبكر لكانت ومطالعته المتحمسة ل(روسو١٧١٢ – ١٧٧٨) بالحاجة إلى عنصر ألهي في الأخلاق ، ومن خلال التعليم في الجامعة وعكوفه الطويل على مؤلفات أتباع فولف ، ودراسته الوثيقة لمؤلفات (ليبنتز١٦٤٦-١٧١٦) تولد لديه احترام لطريقة تناول المذهب العقلي المنهجي لما ينبغي ان تكون عليه طبيعة الله. لكن احاطته الواسعة ايضا بكتابات التجريبيين الانكليز دفعته الى ان يفحص

حدود المعرفة الانسانية فحصا نقديا ، وبالتالي ان يبحث في صحة الميتافيزيقا ومشروعيتها ، كل مفاهيم الميتافيزيقا ومنها بالطبع مفهوم الله.

وترك كانت ذهنه مفتوحا لكل اطراف النزاع المحتدم عن الله . لكن وبنفس الوقت لم يكن متقبلا سلبيا لهذه المؤثرات المتباينة، بل انه فحص هذه المواقف ببصيرته النافذة وطول مرانه في التعليم الفلسفي وبوصفه فيلسوف عصر التنويرعلى ضوء متطلبات نظرية المعرفة من جانب ، وايمان اصيل نابع من نفسه من جانب اخر ، واستعارته المفضلة هنا في وصف الفيلسوف النقدي بإنه القاضي النزيه الذي يستمع بإخلاص الى شهادة الخصوم لكي يصدر حكما في وعيهِ العقلي للقانون.

كشف كَانتْ المأزق الحق لفكر القرن الثامن عشر عن وجود الله . وفحص كل البراهين، و دافع عن بعضها لفترة ما ، وخاصة البرهان الفيزيائي اللاهوتي، الذي بدا أقربها الى معطيات فزياء نيوتن. لكن في النهاية أعلن كَانتْ أن كل هذه البراهين مستحيلة ، و تبعا لحدود نظرية المعرفة التي وضعها ، أصبح من المتعذر معرفة الله او اقامة الدليل على وجوده نظريا . وهكذا لم تعد الفلسفة أو العلم قادرين على القول الايجابي عن الله ، فالعقل النظري عاجز عن إثبات وجود الله ، و لا مناص من أن تعجز الطبيعة عن كشفه . ومع ذلك فإن كَانتْ بقي راسخ الاعتقاد بأن مفهوم الله قد يعود بالنفع على كل من المعرفة والاخلاق.(فرانكلين – ل – باومر –ص٦٢)

لقد استعد كَانتْ اذن لحسم النزاع الطويل الذي أستمر الى عصر التنوير، فيما يمكن ان يؤكده العقل او يقوله على نحو ايجابي عن الله وعلى نحو فلسفي. فكان يرى ان الفلسفة تعاني الالم باعتقادها التقليدي حول الله، لذا فإن حلا فلسفيا صادقا قد اصبح ضرورة ملحة. إن حدود المعرفة البشرية تمنعنا من الاستخدامات التقليدية لمفهوم الله ، لذلك كان يتوجب على كانتْ بناء فهم جديد لما يعنيه الحديث عن طبيعة ووجو الله ، ليتم تنفيذ إعادة البناء في استخداماتنا لمفهوم لله بشكل جذري(Peter Byrne , P. 1).

في رأي كانت ان ماتم التوصل اليه من خلال الميتافيزيقا التأملية حول الله هي مجرد وهم – ووهم خطير– فهي وسيلة منطقية نقوم من خلالها بالسعي وراء اعظم جهد منهجي وصادق لانماء معرفتنا التجريبية ليتبين في الاخير ان هذه المصادرات لا يمكن ابدا لفهم بشري ان يعرفها وبنفس الوقت لايمكن لاحد ان ينزعها من صدور الناس.لانه مسلمة تقوم على اساس

الايمان ،لكننا لانستطيع على الاطلاق ان نؤكد وجوده الفعلي من خلال تجربتنا لانه "شيء في ذاته "لتناهي العقل البشري وعدم قدرته على تجاوز تخوم الزمان والمكان المحددة لتجربتنا في العالم .

يرى كَانتْ انه على الرغم من أننا يجب أن نقتنع بوجود الله بصورة يقينية فإنه ليس من الضروري تماما أن نبرهن على وجوده ، لأن العناية الالهية لم تقل أنه لا بد أن تكون الطريقة الوحيدة لبلوغ المعرفة بالله عن طريق الرطانة الميتافيزيقية . و إذا كان الامر هكذا، بالفعل ، فإننا سنكون في حالة يُرثى لها ، لأنه لم يُقدم بالفعل برهان معرفي الى الان يزودنا ببرهان اكيد يضاهي البرهان الرياضي. ومع ذلك فمن الطبيعي أن يكون على الفيلسوف المحترف أن يبحث عما إذا كان هناك برهان دقيق على وجود الله ممكناً .(كوبلستون ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، ص ٢٦٩).

شكك كانت في (نقد العقل المحض) بإمكانية البرهنة على وجود الله ، لكنه يُسلم به في (نقد العقل العملي) لضرورته في إقامة الأخلاق مع الاقرار بالعجز على التدليل عليه عقليا فهو مسلمة من مسلمات العقل العملي. ويذكر أحد الباحثين أن كَانتْ هو الأول في أستخدام الأعتبارات الأخلاقية صراحة لأثبات وجود الله أو بعبارة أكثر دقة، إن الأخلاق لا تُثبت وجود الله بقدر ما تُلزمنا بالإيمان به. (آندرو بيسن ، ص ١٦٤).

إن الحياة الأخلاقية لا يمكن أن تنمو نموا كاملا دون الاعتقاد العملي بوجود الله كوسيلة لتوجيه الإنسان في موقفه من العالم الحسي – كما في المجال النظري – أقتضى الأمر اعتقادا بالله كوسيلة تنظيمية – و الاعتقاد العملي بالله لا ينبع من باعث إنفعال في الفرد ، بل عن حاجة كامنة في العقل العملي بطبيعته من حيث هو خاضع للقانون الأخلاقي،اي ان الله يصبح حاجة عملية فهو الطريق الاسلم لتأكيد وجوده (جيمس كولينز ، ص ٢٦٦ – ٢٦٧).

فالحياة الأخلاقية ممكنة فقط إذا كان الله موجودا – حتى لو كان مجرد أفتراض – والله في (نقد العقل المحض) هو مثال ترنسندنتالي تم تحديده من خلال فكرة مثال أولي – ان الترانسندنتالي transcendental عند كانت هو: كل ماهو قبلي وكلي وضروري ،بمعنى انه يمكن ان ينطبق على كل تجربة بشرية – ، أما الله في (نقد العقل العملي) فإنه القيمة العليا للحياة الأخلاقية.

وما هو المبدأ الأعلى للأخلاق ، وهل تحتاج الأخلاق إلى مبدأ يُحددها ، أو معيار يحكُمها، وهل تستند الأخلاق إلى أفعال أم إلى مبادئ ؟

بحث كَانتْ في كتاب (تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق) عن المبدأ الأعلى للأخلاق ومحاولة تثبيت دعائمه . وأكد أن ميتافيزيقا الأخلاق ضرورة لا غنى عنها لأنها ليست مجرد دافع من دوافع التأمل المجرد الذي يستهدف البحث في مصدر القواعد الأخلاقية الموجودة في عقلنا وجودا قبليا فقط ، بل لأن الأخلاق نفسها لا تفتأ تتعرض لألوان من الفساد لا حصر لها ، ما بقيت مفتقرة إلى ذلك المقياس والمعيار الأعلى الذي لا بد منه للحكم عليها حكما صحيحا . وأن من واجبات ميتافيزيقا الأخلاق أن تتناول بالبحث فكرة ومبادئ إرادة محضة ممكنة ، لا أن تتناول أفعال و شروط فعل الإرادة الأنسانية بوجه عام. و يؤكد كَانتْ أن محاولة أستخلاص الأخلاق من أمثلة تجريبية هو أساءة بالغة ، لأن كل مثل يُقدم لنا يحتاج أن يُحكم عليه هو نفسه قبل ذلك وفقا لمبادئ الأخلاق لبيان كونه جديرا أن يكون مثلا أو أنموذجا(كانت – تاسيس–ص٢٧–٢٩).

يجزم كَانتْ أنه لا يوجد شيء يمكن عده خيرا على وجه الأطلاق و دون قيد إلا الإرادة الخيرة . و يقصد من ذلك أن الإرادة الخيرة هي وحدها التي يمكن أن تُعد خيرا في ذاته ، أو خيرا مطلقا غير مشروط – أي تكون خيرة في كل الظروف – فأن خيرتها لا تتوقف على أي شرط أو ظرف أو رغبة أو غاية أما من أين يتأتى لنا أن نتصور الله بوصفه الخير الأسمى ؟ فهو لم يأتِ إلينا إلا من الفكرة التي يرسمها العقل قبليا عن الكمال الأخلاقي و يربطها بتصور إرادة حرة لا أنفصام له. ويُميز كَانتْ بين الخير الأسمى الأصلي و بين الخير الأسمى المشتق عنه ، فالله هو الخير الأسمى الأصلي وهو علة الخير الأسمى المشتق .(كانت – تأسيس– ص٣٠– ٧٠).

لقد بين كَانتْ في كتاب (نقد العقل المحض) أن الله هو نتاج العقل المحض وهو تصور عن مثال ترنسندنتالي ، ولا يُعبر عن أي وجود لله ، فلا يُمكننا الأستدلال على وجود الله من المفهوم على الأطلاق. وعلى الرغم من أننا نتصور الله بأنه جوهر لا متناه ، فأنه ليس جوهرا ولا يمكن أن يكون جوهرا لأنه يُجاوز الفهم الإنساني(Alexandru petrscu ,p.199–203.).

فمن المنظور النظري لا يمكن القول بشكل قاطع ما إذا كان الله موجودا ، فمفهوم الله يبرز في المسار الطبيعي للعقل المحض كتصور ترنسندنتالي متأصل بالضرورة في العقل. والإيمان بوجود الله يرتكز على المفهوم المعبر عنه. أن الإنتقال من الجانب النظري إلى العملي لإنشاء إيمان بالله – بدلا من الوجود الواقعي لله – يرتبط أرتباطا وثيقا بالمغزى العام للأخلاق ، فنحن نؤمن بالله لأن هذا الأعتقاد يتناسق مع سلوكنا الأخلاقي لتحقيق أعلى منفعة ، فكَنتْ مقتنع بأن السلوك الأخلاقي المستقيم يتطلب الايمان العقلي في عالم أخلاقي(Chris L. Firestone , p. 63).

إن انعدام امكانية أثبات وجود الله في نقد العقل المحض أنتهت إلى افتراض وجوده في كتاب نقد العقل العملي وواصل تقديمه كدليل ولكن ليس دليلا على الواقع بل دليل على الأفتراض – المحتمل – وبالتالي نحن بصدد الأفتراض لهذا الموجود – لله – على الرغم من عدم أثبات وجوده منطقيا (Audrey L. Anton , .p.109).

وهناك ثلاث افتراضات ضرورية يؤكد عليها كانت في بناء معماريته الاخلاقية هي : الحرية ضرورية للأخلاق إذ أننا نفترض أننا نختار بحرية ، فأفتراض الحرية من أجل الأخلاق. وأفتراض الخلود ووجود الله من أجل الخير الأسمى – أي في سبيل السعادة . إننا حين نفترض وجود الله فأننا غير ملزمين أخلاقيا بالموافقة على الايمان ، نحن نفترض وجود الله في سعينا لتحقيق الخير الأسمى لأننا نعتمد عليه لتحقيق السعادة ، ولا يمكننا التصرف وفقا للواجب لأعتقادنا أن الله سوف يكافئنا على ذلك يوما لأن أفعالنا ستكون بلا قيمة أخلاقية ونتوقف عن السعي وراء الصالح الأسمى ، ليس بوسعنا سوى السعي الصادق إلى الصالح الأسمى فالخير الأسمى يتقدم السعادة . و يُشبه آلن وود التصور الكانتي لله في نقد العقل العملي بالتحايل القضائي ، من أجل أن تكون الأفعال الإنسانية جيدة والنوايا حسنة (آلن وود– ص٧٩).

يوضح كَانتْ في نقد العقل المحض أنه إن كان لنا معرفة بوجود الله – كوجود فعلي – فأن هذه المعرفة لن تجعل لأفعالنا قيمة أخلاقية ،لأنها ستكون مبنية على الأمل في الظفر بالنعيم الأبدي أو الخوف من اللعنة الأبدية .عوضا عن الدافع الوحيد الجدير بأن يوصف بأنه أخلاقي وهو الواجب . وفي الجانب العملي فإن بقاء الله مجهولا بالنسبة لنا يدفع قدرتنا على التصرف بحرية، إن الإنسان حر، وحريته ليست مطلقة ونحن نتصور الله حرية أسمى ، فبينما يكون الإنسان موجودا متناهيا ومزيجا بمعنى أنه ينتمي إلى عالمي الباطن والظاهر ،فإننا نتصور الله بوصفه حقيقة باطنية لا متناهية .ونحن نتصور أن العالم خاضع ويعتمد على الله(كوبلستون ص ٤٩٦ – ٤٩٧). يمكن القول ان الخير الأسمى و أتحاد الفضيلة مع السعادة هو الهدف الأساس للعقل العملي ، والقانون الأخلاقي يهدف إلى أعلى غاية وهي السعادة وهذا يؤدي إلى أفتراض وجود الله ، فمثل هذه الفرضية تحافظ على التماسك العقلي للنية الأخلاقية.

إن ألتزامنا بتحقيق المصلحة العامة يؤدي بنا إلى افتراض أنه يجب أن يكون هناك خالق يربط العقوبات المناسبة مع القانون الأخلاقي من خلال تحقيق الوعود وتوجيه العقوبات، وهذا الافتراض ضروري جدا من أجل تماسك العقل العملي ، لأنه لولا هذا الأفتراض فأن المساعي الأخلاقية ستكون لا طائل منها ، ولن يكون للقانون الأخلاقي قيمة.

إن حضور الله بكل قدراته اللامتناهية أمام أعيننا سيجعلنا نتجنب تجاوز القانون و نخضع لما نحن مأمورون للقيام به من قِبل الله ، وبما أن النية التي يجب أن تتم الأفعال بموجبها لا يمكن أن تُبعث فينا بواسطة أي وصية ، بينما الحافز على العمل هنا حاضر حالا وخارجي ، وبما أنه ليس للعقل فرصة لأن يرقى في جهده لمقاومة الميول بواسطة تمثل حي لوقار القانون، فأن معظم الأفعال المتوافقة مع القانون الأخلاقي تكون قد حدثت عن خوف ، وقليل منها عن أمل ، و لا واحد منها عن واجب .وبالتالي لن يكون هناك أي وجود للقيمة الأخلاقية التي تقوم عليها وحدها قيمة الشخص ، بل حتى قيمة العالم بأسرة في نظر الحكمة الأسمى لاوجود لها.

إن السلوك الإنساني ، سيتحول الى مجرد آلية يؤدي فيها كل فرد حركاته بشكل جيد كما في لعبة العرائس ، لكن من دون أن توجد أي حياة فيهم. أما وأن وضعنا مختلف كليا و أننا على الرغم من كل الجهود التي يبذلها عقلنا لا نحصل على أكثر من نظرة قاتمة جدا للمستقبل . وأن حاكم العالم يُتيح لنا التخمين فقط بخصوص وجوده وجلاله ، من دون أن نبصره أو نبرهن عنه بوضوح ، وأن القانون الأخلاقي فينا بالمقابل من دون أن يعدنا او يهددنا بشيء على وجه اليقين يُوجب علينا أحتراما منزها عن كل منفعة ، وعندما يصبح الأحترام فعالا ومسيطرا فأنه هو وحده الذي يُتيح لنا أن نُلقي نظرات ولو باهتة على عالم فوق المحسوس . وهنا فقط يمكن أن تقوم نية أخلاقية صادقة تقف على القانون مباشرة. ويستطيع أن يجعل المخلوق العاقل نفسه أهلا للمشاركة في الخير الأسمى المناسب لشخصه وليس فقط لأفعاله(كنت ،نقد العقل العملي ، ص ٢٤٩ – ٢٥٠). فإذا كانت لدينا معرفة بكل شيء ومنها المعرفة بوجود الله ووعده بالمكافأة لأفعالنا الجيدة و تهديده بالعقاب الأبدي لأفعالنا السيئة – على التوالي – وإذا علمنا بوجود الله ووعده ووعيده فإنما نحن نتصرف بدافع الأمل أو الخوف – أو كليهما – و لا يمكننا التصرف بدافع الأحترام للقانون الأخلاقي. و إذا ما تصرفنا بدافع الأمل أو الخوف ، لن نتمكن من التصرف انطلاقا من احترام القانون الأخلاقي. وبالتالي لا شيء من أفعالنا يكون لها قيمة أخلاقية. يمكن أن تكون لبعض أفعالنا قيمة أخلاقية على الأقل أن لم يكن لدينا معرفة بكل شيء خاصة وجود الله ووعده ووعيده الأبدي لأفعالنا الجيدة والسيئة. لقد كان أهتمام كَانتْ الأساسي هو ضمان دعم ألتزامنا الأخلاقي، ان مفهوم الله ليس سوى مفهوم تطور ليس من أجل هدف له في حد ذاته، ولكن كمفهوم لدعم الألتزام الأخلاقي (Ezulike Benjamin Ofodile .p.17).

- الامر المطلق والغاية الاخلاقية

إن القانون الأخلاقي هو الأمر المطلق أي المبدأ المُلزم لنا ، مهما يكن لدينا من غايات مستقلة عن المبدأ. وأحد الأشياء التي يفعلها المبدأ الأخلاقي الأساسي هو أنه يقودنا لوضع غايات معينة – لا يقوم بافتراض الغايات مسبقا باعتباره أساسها بل هي بالأحرى أساس المبدأ – هذه الغايات المستندة إلى الأمر المطلق بالغة الأهمية بالنسبة لبُنية الأخلاق الكَنتْية.

أن كل الواجبات الأخلاقية مؤسسة على الغايات و بهذا فإن نظريته عن الواجبات الأخلاقية غائية. وهناك نوعان من الغايات هما الكمال الخاص وسعادة الآخرين . وقسم كَنتْ أسباب تعيين الإرادة أنها أما ذاتية بحتة ، وبالتالي تجريبية ، أو موضوعية و عقلية أيضا، وكل من هاتين هو أما يكون خارجيا ،يؤكد كَنتْ إننا غير معنيين بالكمال الميتافيزيقي . أما مفهوم الكمال بالمعنى العملي فهو أهلا لأن يكون كُفئا لكل أنواع الغايات. هذا الكمال كونه صفة مميزة للكائن البشري ، وكونه كمالا داخليا ما هو إلا موهبة وما يقويها أو يكملها ليس سوى مهارة. والكمال في (الله) هو بالتالي خارجي ، هو كون هذا الشيء كُفئا لكل الغايات بشكل عام. فإذا لَزمَ أن تكون الغايات معطاة لنا مسبقا فهي التي يمكن لمفهوم الكمال – سواء كان داخليا في ذواتنا ، أو خارجيا في الله – أن يكون بعلاقة معها وحدها ، السبب المعيِّن للإرادة ؛ وإذا كانت غاية ، فبصفتها موضوعا يجب أن تتقدم على تعيين الإرادة بقاعدة عملية و أن تتضمن سبب إمكانية تعيين كهذا، فهي دائما تجريبية. (كانت–العملي – ٩٨–٩٩).

هنا من الممكن ان تصبح جميع المبادئ الموضوعية الداخلية تجريبية لكنها تبقى عاجزة عن تقديم المبدأ الكلي للأخلاق ، في حين ان المبادئ الموضوعية الخارجية تقوم على العقل ، والكمال لا يمكن أن يُدرك إلا بتصورات عقلية . وفكرة الكمال يمكن أن تُفهم بمعنى نظري وفي هذه الحالة تعني الكمال لكل شيء في نوعه ، كما يمكن أن تفهم بمعنى عملي و حينئذ تدل على حال الشيء الذي يُلائم كل أنواع السلوك والغايات .

لقد حاول كَنتْ البرهنة على أن استقلال الإرادة العاقلة هو وحده الذي يمكن أن يشكل الإلزام الأخلاقي. فإذا كان أساس القوانين الأخلاقية هو شيء خارجي عن هذه الإرادة العاقلة ، فسيؤدي ذلك إلى هدم خاصيتها المطلقة ، مادامت صحة هذه القوانين بالنسبة للإرادة ستكون فقط صحة مشروطة بإرادة أخرى تتعلق بهذا المصدر الخارجي ، فإذا كانت السعادة هي أساس القوانين واساس سلوكنا الاخلاقي فسيكونا مشروطان بإرادتنا للسعادة.في حين إذا كان أساس القوانين الأخلاقية هو إرادة الله فإن صفة الإلزام فيها ستكون مشروطة بحبنا أو خوفنا من الله.(آلن وود ، ص ٢٠١).

أن الانسان هو غاية في ذاته في نظام الغايات ، أي لا يمكن لأحد أن يستعمله مجرد وسيلة دون ان يكون مع ذلك غاية في ذاته ، والانسانية يجب أن تكون مقدسة بالنسبة إلينا لأن الإنسان هو موضوع القانون الأخلاقي ، وبالتالي هو موضوع ما هو مقدس في ذاته لأن القانون الأخلاقي مؤسس على إستقلالية إرادته بوصفها إرادة حرة ، التي يجب عليها بالضرورة بموجب قوانينها ان تكون قادرة في ذات الوقت ان توافق على ما ينبغي أن تُخضع نفسها له .

أما الوعي بقدرة العقل العملي الخالصة فتستطيع أن تنتج بواسطة الفعل – الفضيلة – وعياً بسيطرته على ميوله ، وباستقلاليته عنها ، ومن ثمّ على التذمر الذي يرافقه دائما ، وهكذا يمكنه أن يُنتج رضا سلبيا للمرء بوضعه ،أي أرتياحا هو في مصدره أرتياح لشخص المرء نفسه. وبهذه الطريقة غير المباشرة تُصبح الحرّية نفسها قابلة للاستمتاع الذي لا يمكن أن يسمى سعادة ، لأنه لا يتعلق بالالتحاق الإيجابي لشعورٍ ما ، كما أنه ليس غبطة بالمعنى الدقيق للكلمة ، لأنه لا يتضمن استقلالا كليا عن الميول والحاجات ؛ لكنه ، مع ذلك ، يشبه هذه الأخيرة، أقله من حيثُ إن تعيين إرادة أمرئٍ يمكن أن تُبقي على نفسها بمنأى عن تأثيرها – أي الميول– وهكذا تكون، على الأقل من ناحية أصلها ، مماثلة للكفاية الذاتية التي لا يمكن أن تُسند إلا إلى الكائن الأسمى.(كانت – العملي ٢١٠).

يؤخذ على كَانتْ أن هناك تناقضا بين نقد العقل المحض و نقد العقل العملي ، ففي حين أن نظرية العقل المحض قررت أننا لا نستطيع أبدا أن نصل إلى أي معرفة عن (الله ، الحرية ، الخلود) ، لكنه يُعطي في العقل العملي قيمة موضوعية لتصورات العقل المحض الترنسندنتالية و يخرق القوانين التي فُرضت من قبل . وأن كَانتْ برر الأيمان بالله من حيث أنه مسلمة من مسلمات العقل العملي ، فنحن نصل إلى الأيمان بالله عن طريق التأمل في متطلبات القانون الأخلاقي من جهة التوفيق بين الفضيلة والسعادة . و يتمثل الأمر المطلق بأنه يحتوي بداخله على قاعدة النظر إلى كل الواجبات الإنسانية على أنها أوامر إلهية . أن مفهوم الله هو مفهوم ذات تُفرض إلزاما خارج نفسي. فالأمر المطلق هو بالنسبة لنا صوت الله ، و يتجلى الله في الوعي بالإلزام الأخلاقي عن طريق القانون الأخلاقي(بوترو ،فلسفة كنت ص٣٤٤).

ويؤكد كَانتْ على أن ذلك لايشكل دليلا على وجود الله من حيث أنه جوهر يوجد خارج العقل الإنساني ، كما أنه يؤكد بذات الوقت على أنه لا شيء يُضاف الى قوة القانون الأخلاقي بالنظر إليه على أنه أمر ألهي ، فحتى وان لم يؤمن الإنسان بالله

فان هذا الامر لن يستبعد القوة المُلزمة للأمر المطلق . إن الله هنا ليس غير أسم للأمر المطلق، وما ينتج عن ذلك هو أننا لا نصل إلى الله أو نقترب منه إلا عن طريق الوعي الأخلاقي، فليس هناك دليل نظري ممكن على وجود الله.

وعلى الرغم من أن كَانتْ أنتهى في نقد العقل المحض إلى نتيجة وهي أن من المستحيل أن نصل إلى معرفة موضوعات مجاوزة للحس(ترنسندنتالية)، ومنها المفاهيم الميتافيزيقية الثلاث (الله ، الحرية ، الخلود)، إلا أنها تُقدم أساسا لأفكارنا عن الواجب والأحترام والقانون الأخلاقي و الإرادة الخيرة، ولكن بنفس الوقت فأن العقل المحض يمنعنا من كل معرفة لهذه الموضوعات فهو يُثبت أنها بعيدة المنال ، والالتجاء إليها يشبه أن يكون تأسيسا للمجهول على ما هو أشد جهلا .

تنبع مصادرات العقل العملي من المبدأ الأساسي للأخلاق، وهذا المبدأ هو قانون يُعين به العقل الإرادة بطريقة غير مباشرة ، وتقتضي هذه الإرادة بوصفها إرادة محضة وجود شرط لإتباع أوامره ، وهذه المصادرات هي افتراضات لها مرجعية عملية لذلك هي تُعطي أفكار العقل التأملي بوجه عام حقيقة موضوعية و تبرر تمسكها بمفاهيم ما كانت لتجرؤ لولا ذلك حتى على افتراض إمكانيتها. ومن هذه المصادرات مصادرة الله ، التي تصدر عن ضرورة الشرط لعالم معقول ، بواسطة أفتراض الخير الأسمى القائم بذاته أي وجود الله .(كوبلستون ، ص٥٠٠).

قدّر كَانتْ النتائج البعيدة لرأيه بأن مفهوم الله ،مخترع العالم ،الحكيم وكليّ القدرة هو مجرد وسيلة منطقية نقومُ من خلالها بالسعي وراء أعظم توحيد منهجي وهادف ممكن لمعرفتنا التجريبية. بالنتيجة، فإنّ الرأي الذي قدمه كَانتْ صرح بأن ما تم اعتباره إلى حد الآن أسمى صورة للمعرفة الإنسانية أي معرفة الله والتي تم التوصل إليها من خلال الميتافيزيقيا التأملية هي مجرد وهم، وبالفعل وهم خطير. وأحتج بأن هذا التأمل يورط الانسان في نزاعات عقيمة وحادّة حول ما لا يُمكن أبداً من حيث المبدأ أن يكون موضوعاً للمعرفة الحقيقية، وهذا التأمل ذاته قد قوض بحثنا العلمي الحقيقي في القوانين الجوهرية للطبيعة وذلك من خلال الميل نحو وضع حلول المدد الغيبي الخادعة والنهائية مكان المهمة المضنية المتواصلة المتمثِّلة في الاستكشاف التجريبي للطبيعة. وعليه، فإن كَانتْ يُقيم التأمُل الميتافيزيقي التقليدي حول وجود الله بوصفه مصدراً للحيرة التي تعزلنا عن هدفنا الحقيقي المتمثّل بإرساء أنفسنا بشكل أكثر فعالية في العالم المحدود. إنه يبتني على القبول غير الناقد للأفكار التنظيمية الصرفة باعتبارها مصادر مُشكِّلة للمعرفة المتعالية ، وعليه فإنّه يُفضي من خلال وهم خادع إلى الأقناع و إلى معرفة خيالية محضة، وبذلك إلى تناقضات ونزاعات دائمة.(باترك ماسترسون ، ص ٣٦٥ – ٣٦٦).

إن نزوعنا الضروري إلى الخير الأسمى المتأتي عن أحترام القانون الأخلاقي ، النابع من أفتراضنا بحقيقتة الموضوعية ، يقود أيضا عبر مصادرات العقل العملي إلى مفاهيم كان بإمكان العقل التأملي أن يعرضها فعلا كمشكلات إلا أنه لم يكن قادرا على حلها ، مثلا فيما يتعلق بما كان يجب على العقل التأملي أن يفكر فيه ، لكنه كان مرغما على تركه غير معين كمفهوم ترنسندنتالي فحسب عن الكائن الأصل ، في حين ان العقل العملي زوده بمعنى ، كمبدأ أعلى للخير الأسمى في عالم معقول ، بواسطة تشريع أخلاقي له سلطة في ذلك العالم ،و يتساءل كَانتْ:

حول أن كانت معرفتنا قد أتسعت على هذا النحو ، وإن ما هو متعالي بالنسبة للعقل المحض ، قد اصبح باطني بالنسبة للعقل العملي ؟ و يجيب: بلا شك . لكن لمآرب عملية فقط. فمع أننا لا نستطيع أن نعرف طبيعة أنفسنا و لا العالم و لا ماهية الكائن الأسمى كما هي في ذاتها، إلا أننا قد وحدنا مفاهيمنا فقط في المفهوم العملي ، فالمصادرات لا يمكن أبدا لفهم بشري أن يعرف كنهها ، ولا يمكن اقتلاعها من صدور أكثر الناس بساطة أيضا (كنت ، نقد العقل العملي ، ص ٢٢٩ – ٢٣٠). إن الأخلاق عند كَانتْ ، لكونها مؤسسة على مفهوم الإنسان بوصفه كائناً حرّاً يخضع، بما هو كذلك وبواسطة عقله لقوانين لا مشروطة ،فانها لا تحتاج إلى فكرة كائن آخر متعال على الإنسان لكي يدرك واجباته وما يتبغي فعله ، ولا يحتاج إلى دافع مغاير للقانون ذاته ، كي ينفذه. فالقوانين الأخلاقية هي قوانين مُلزِمة بفضل شكلها الصوري البسيط والتي تتمثّل في المطابقة الكلّية معها ، وتُعد هذه الصورة البسيطة هي الشرط الأسمى لكل الغايات. وأجمالا فالأخلاق بنظر كانت لا تحتاج لأي علّة مادّية مقيدة للإرادة الحرّة. فلا توجد صعوبة للتوفيق بين مفهوم الحرية مع مفهوم الله بوصفه وجوداً – مفترضا – ضرورياً ، أن الله لا بد أن يكون قادراً بصورة عادلة أو متساوية على الفعل الجيد أو الرديء ، ومع أنه لا يمكن أن يفعل إلا ما هو جيد أو صحيح أخلاقياً ، يبقى حراً – ويمكن افتراض انه حر بصورة ترنسندنتالية – بفضل أن الله هو مطلق وتلقائي في أنتاج الفعل ، أي أن الأساس المحدد للفعل يقع بصورة منفردة ضمن النفس المقدسة ، التي تستلزم أن الفعل غير محدد بشروط قبلية . و كَنتْ يؤكد أن الفكرة المفتاحية للحرية ليست القدرة أو القوة على الفعل بطريقة مختلفة على خلاف طبيعة العقل. فالكائنات البشرية تملك القدرة على العمل بطريقة مختلفة وهذا شرط ضروري للإلزام أو وجوب تطبيق المبادئ بالنسبة لقانون الأخلاق الذي هو نظام للمبادئ الواجبة. لكن لا سبب مُشابه يستلزم أن الله يفعل بطريقة مختلفة ، وبما أن الله هو غير خاضع للمبادئ الواجبة بسبب الإرادة المقدسة ، فلا توجد أوامر أو التزامات ، إن الله يبقى حراً(Derk Pereboom , Kant, P. 8, 10).

ويرى كَانتْ أن الحرية لا تدل على متعة كما تفعل السعادة إلا أنها تُشير إلى رضا الإنسان بوجوده ، التي تعني دائماً رضاً سلبياً – بوجود المرء لا غير – أي يكون واعياً فيه بأنه لا يعوزه شيء . فالوعي بالحرية على أنها قدرة لها نية تغلب إتباع القانون الأخلاقي إنما هي استقلالية عن الميول ، أقله بوصفها دوافع معيَّنة – حتى و إن لم تكن مؤثرة– لرغباتنا ، وبقدر ما أكون واعياً بهذه الحرية في أتباعي لمسلماتي الأخلاقية ، تكون هي المصدر الوحيد لأرتياح لا يعتريه تغيرٌ ، مرتبط بها بالضرورة وغير قائم على أي شعور خاص ، وهذا ما يمكن أن يسمى أرتياحاً عقليا.

(فالحرية والخلود والله) مفاهيم يؤدي إليها العقل العملي حتى وان ابدى العقل النظري عجزه عن البرهنة عليها . فهي مسلمات العقل العملي ، وهي عقائد ليست ذاتية ، بل موضوعية كلية لأن العقل نفسه هو الذي يفرضها ، وبالتالي فهي عقائد مشروعة . والتسليم بها هو إقرار باولوية العقل العملي على العقل المحض.

لان لو كان لنا علم بهذه المفاهيم – الله والخلود والحرية– علم نظري كامل ، لكان من المستحيل ألا يضغط هذا العلم على إرادتنا ويجبرها ، ولكانا مخلوقات آلية أشبه بالدمى يحركها الخوف أو الشهوة ، في حين أن الإيمان يدع مجالا لحرية الإرادة وللفضل في الفضيلة. ويحق لنا نتيجة هذه النظرية أن نتصور واجباتنا أوامر صادرة لا عن العقل فقط بل أيضا عن الله ، فننتهي إلى الدين .الذي هو ليس الدين الموضوع قبل الأخلاق والمُعين لها ، بل الدين القائم على الأخلاق، القائمة بدورها على العقل. والأخلاق تنتهي إلى الدين ولا تقوم عليه.

أن مفهوم الله ومفهوم الخلود ليسا شرطين للقانون الاخلاقي ، بل هما شرطان للموضوع الضروري لإرادة معينة بهذا القانون فقط ، أي لمجرد الأستعمال العملي لعقلنا المحض ؛ ومن هنا نحن لا نستطيع أن نؤكد بخصوص هذه المفاهيم إننا نعرف وندرك ، حقيقتها فحسب ، بل حتى امكانيتها أيضا ، إلا أنها مع ذلك شروط لتطبيق الإرادة المعينة أخلاقيا على موضوعها المعطى لها قبليا – الخير الأسمى – وينتج عن ذلك أنه يمكن ويجب أن تُقبل إمكانيتها من الناحية العملية هذه من دون أن نعرفها وندركها نظريا. (كنت ، نقد العقل العملي ، ص ٤٤ – ٤٥)

إذا كان العقل المحض لم يتوصل إلى أثبات وجود الله ، فالعقل العملي منحنا الحرية في أفتراض وجود الله – وهذا الافتراض – وهو تصور لا غنى عنه في الأخلاق .وراء سلسلة مترابطة في منظومة كَانتْ النقدية حول السؤال عن وجود الله ، فهو

تصور – مثال – ترنسندنتالي تنظيمي للعقل المحض ، وتصور – أفتراض – ترنسندنتالي لتنظيم أفعال العقل العملي. فلم نجد كَانتْ قد أدعى أن دليله الأخلاقي قد اثبت وجود الله فعليا بل نجده يتحدث عن مجرد أفتراض.

إن الإيمان بشيء يوجب في الوقت ذاته أن نعتبره مقدسا وهو أمر يمكن أن يؤخذ إما بوصفه إيمانا ملهما على نحو رباني أو بوصفه إيمانا عقليا محضا . فإذا لم يكن المرء مجبرا تحت ضرورة قصوى للقبول بالنوع الأول ، فكَانتْ يجعل كمسلمة له الوقوف مع النوع الثاني ، فيرى أن المشاعر ليست معارف ، وبالتالي هي لا تُشير إلى أي سر خفي ، ومع أن لهذا الأخير علاقة ما بالعقل ، ولكن مع هذا لا يمكن أن يتم تشاركه وتواصله على نحو كوني ، وسيتحتم على كل أمريء إذا ما وجد مثل هذا السر الخفي أن يبحث عنه في صلب عقله . وبالطبع من غير الممكن التقرير بشكل قبلي وموضوعي ما إذا كان ثمة مثل هذه الأسرار الخفية أم لا . وبالتالي لن يكون امامنا غير التفتيش على نحو مباشر في العنصر الباطني والعنصر الذاتي لأستعدادنا الأخلاقي لنرى ما اذا كانت توجد مثل هذه الأسرار الخفية هذه هي النواة الصلبة للمعمارية الاخلاقية الكانتية.

وبالتالي تصبح فكرة حاكم أخلاقي للعالم هي مهمة للإنجاز بالنسبة إلى عقلنا العملي . ولا يتعلق الأمر بأن نعرف ما هو الله في ذاته ، بقدر ما يتعلق الأمر بأن نعرف ماذا هو بالنسبة لنا نحن بأعتبارنا كائنات أخلاقية ، على الرغم من أنه ينبغي علينا ،من اجل هذه العلاقة أن نفكر و أن نقبل بالهيئة الإلهية لطبيعته، كما هي ضرورية لهذه العلاقة ضمن الكمال التام المطلوب لتحقيق إرادته – على سبيل المثال بوصفه كائنا لا يتغير ، عليما بكل شيء ، قديرا، ...ألخ – ومن دون هذه العلاقة لا يمكننا معرفة شيئٍ منه. وطبقا لهذه الحاجة الخاصة بالعقل العملي فإن العقيدة الدينية الحقيقية الكونية إنما هي إيمان بالله:–

- بوصفه خالقا قديرا للسماوات والأرض أي على الصعيد الأخلاقي بوصفه مشرعا مقدسا .
- بوصفه حافظا للجنس البشري ، وبوصفه ملكا راعيا وحاميا أخلاقيا له.
- بأعتباره مدبرا لقوانينه المقدسة الخاصة ، أي بوصفه قاضيا عادلا .

هذا الإيمان لا يحتوي في حقيقة الأمر على أي سر خفي ، كونه يُعبر فقط عن السلوك الأخلاقي لله إزاء الجنس البشري ، ولذلك فهو يعرض من نفسه لكل عقل بشري ، ويكمن في مفهوم الشعب من حيث أنه كيان مشترك ، إذ ينبغي في كل وقت أن يتم التفكير في تلك السلطة العُليا (المُثلثة) ، إلا أن هذا الكيان المشترك هو هنا متمثلا بوصفه كيانا أخلاقيا ، وبالتالي يمكن

لهذه الصفة المثلثة للرئيس الأخلاقي للجنس البشري أن يُفكر فيها بوصفها متحدة في نفس الكائن الواحد.(كَانتْ ، الدين في حدود مجرد العقل ، ص ٢٢٣-٢٢٦).

لقد اراد كانت ومن خلال نزعته الصورية المبالغ فيها ،اراد ان يضفي على الاخلاق صبغة أمرية مطلقة، وقادته الى ان يقول: ان بيت القصيد في اية فلسفة عملية ،ليس هو ان نشرح اسباب ما يحدث بالفعل ،بل ان نبسط القوانين التي تحدد ما ينبغي ان يحدث ،حتى لو لم يحدث هذا الذي نحدده يوما ما على الاطلاق . لقد اراد كانت ان يجعل من ارادة كل انسان هي المشرعة وبصورة كلية وعامة قانون بقية المخلوقات العاقلة الاخرى جميعها ،وان الصفة البارزة للواجب انما هي غياب المنفعة والمكافئة لدى الارادة ،فهي انما تعمل بوازع احترام الواجب ليس الا .

والان ما لذي يمكن لنا قوله عن جذرية الموقف الكانتي فيما قدمه من افكار وربطه المنطقي المحكم بين افتراض وجود الله وتماسك المنظومة الاخلاقية والسلوك البشري ،ان القارىء لفلسفة كانت يدرك على الفور الرغبة الصادقة عنده في ضرورة وضع حلا فلسفيا صادقا يبرر الأعتقاد التقليدي حول مفهوم الله من خلال الأعتماد على العقل. مع تأكيده على ضرورة البحث والتمحيص الدقيق والنقد قبل قبول أي شيء حتى أقدس الأشياء .لان النقد يُخلصنا من الدجماطيقية فيما يختص بمفاهيم ميتافيزيقية كثيرة ومنها مفهوم الله.

ويُعد موقفه هذا تعبيرا قويا عن الفكر التجديدي لعصر التنوير فكان له موقف معارض ورافض لهيمنة السلطة الدينية على عقول الناس. واحتكار القول في الامور الايمانية . فموقفه موقف مفكر أصيل من خلال فحصه لمختلف المواقف الفكرية مهما كان مصدرها والتعامل معها بحيادية ومسؤولية .لكن في مسعاه هذا لم يقصد الابتعاد عن الغاية النهائية للدين باعتباره ضمانة للأخلاق ، فلم يكن موقفه سلبيا من جوهر الدين بل كان يعده أمرا مهما . لكن الهدف من نقده كان تخليص المسائل الدينية من الخزعبلات والترهات التي اضرت من أجل بلوغ مرحلة الايمان العقلي الناضج وهو المطلب المنسجم مع فلسفة الانوار، والذي تم رفضه لاحقا من قبل المثالية الالمانية وبالأخص من قبل هيجل باعتباره لاهوت عقلي جاف .

ان السبيل الوحيد الى الله برأي كانت انما عبر مملكة الوجدان الأخلاقية المستقلة التي أطلق عليها العقل العملي. لقد أستبعد الكثير من معتقدات الدين مثل السلطة الايمانية للكنائس ، والصلاة والطقوس التي كانت تصد البشر من الاعتماد على قدراتهم الذاتية ، ومن خلال الاعتماد بتكاسل على الآخر . لكنه لم يكن معارضا لفكرة الله ذاته . لكن يمكن القول انه بالنسبة له

مجرد وسيلة قد يُساء أستخدامها . إن فكرة خالق كُليَّ القدرة حكيم قد تعوق البحث العلمي وتقود إلى أتكالية كسولة على إله ، إله نستعين به كلما اعوزتنا الحجة ليملأ الفجوات في معرفتنا ، وقد يكون أيضا مصدرا لكثير من المعتقدات الغامضة غير ضرورية التي تؤدي إلى نزاعات حادة مثل تلك النزاعات الدينية التي بثت الخوف عبر تاريخ في قلوب البشر. واكد كانت في كتابه نقد العقل العملي في اكثر من موضع إننا من اجل ان نعيش حياة أخلاقية فأن الناس بحاجة الى حاكم يكافيء ويعاقب .من هذا المنظور يكون الله قائما على نظام أخلاقي كفكرة لاحقة ، وتمت زحزحة مركز الدين فلم يعد لله بل الإنسان نفسه ، لقد أصبح الله أستراتيجية تمكننا من العمل بكفاءة و أخلاقية أكبر.

خلاصة القول ان كَانتْ تعامل مع المسائل الدينية تعاملا جريئا بمنهج نقدي صارم بهدف تخليصها من كل ما لحق بها تاريخيا بسبب هيمنة السلطات عليها سواء كانت هذه السلطات دينية أو سياسية وهو امر جلب له بعض المتاعب في حينها .لكن يبقى عمله تدشينا لمرحلة فكرية جديدة اصبح معها متعذرا التقهقر الى فكر ماقبل كانت سواء في الاخلاق او الدين .من هنا تنبع اهمية فلسفته لواقعنا الاسلامي الراهن الذي يشهد نزوعا نحو جوانب ظلامية في الدين.

قائمة المصادر والمراجع العربية والاجنبية

- آندرو بيسن ، مسألة الإله ، ترجمة محمد الفشتكي ، ط١ ، الرافدين للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، ٢٠١٨.
- آلن وود ، عقول عظيمة – كَنتْ فيلسوف النقد ، ترجمة بدوي عبدالفتاح ، كلية الآداب – جامعة القاهرة ، آفاق للنشر والتوزيع ، المركز القومي للترجمة ، ٢٠١٤.
- إميل بوترو ، فلسفة كَنتْ ، ترجمة عثمان أمين ، مصر : الهيئة للكتاب ، ١٩٧٢.

– ام الزين بن شيخة– المسكيني، كانط راهنا ،او الانسان في حدود مجرد العقل ،المركز الثقافي العربي، بيروت–الدار البيضاء–ط١،٢٠٠٦

–إيمانويل كنت ، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق ، ترجمة و تقديم عبدالغفار مكاوي ، مراجعة عبدالرحمن بدوي ، منشورات الجمل ، ط١ (إعادة طبع) ، ٢٠٠٢

- إيمانويل كنت ، نقد العقل العملي ، ترجمة غانم هنا ، مركز دراسات الوحدة العربية ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت الحمرا ، ط١ ، ٢٠٠٨

- إيمانويل كَنتْ ، الدين في حدود مجرد العقل ، ترجمة فتحي المسكيني ، ط١ ، جداول للنشر ، بيروت – لبنان ، ٢٠١٢

- إيمانويل كَنتْ ، نقد العقل المحض ، ترجمة موسى وهبه ، طبعة منقحة ومزيدة ٢٠١٥ ، ط ٢ ، دار التنوير ، لبنان – بيروت ، ٢٠١٧.

- باترك ماسترسون ، كَنتْ والمطلق المحدود ،الاستغراب – دورية فكرية تعنى بدراسة الغرب وفهمه معرفيا ونقديا ، العدد ٩ ، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية ، بيروت – لبنان، ٢٠١٧..

- ، جيمس كولينز ، الله في الفلسفة الحديثة ، ترجمة فؤاد كامل ، ط١ ، آفاق للنشر والتوزيع ، القاهرة – مصر ، ٢٠١٩ .

- جاكلين روس ،الفكر الاخلاقي المعاصر ،ترجمة وتقديم د. عادل العوا ،عويدات للنشر –بيروت ،ط١– ٢٠٠١.

- فرانكلين – ل – باومر ، الفكر الاوروبي الحديث : الاتصال والتغير في الافكار من ١٦٠٠ – ١٩٥٠ (القرن الثامن عشر) ، ترجمة د. احمد حمدي محمود ، ج ٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٨ .

- فردريك كوبلستون ، تاريخ الفلسفة ، م ٦ ، الفلسفة الحديثة من عصر التنوير في فرنسا حتى كَنتْ ، ترجمة حبيب الشاروني ، محمود السيد أحمد ، مراجعة وتقديم إمام عبدالفتاح إمام ، المركز القومي للترجمة أشراف جابر عصفور ، ط ١ ، ٢٠١٠.

- عبدالرحمن بدوي ، الأخلاق عند كانت ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٧٩

- وليم كلي رايت ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، ترجمة محمود السيد أحمد ، مراجعة امام عبدالفتاح امام ، ط١ ، التنوير ، بيروت – لبنان.

المصادر الاجنبية:

- – Alexandru petrscu
- the idea of god in kantian philosophy , procedia , social and behavioral sciences , procedia – social and behavioral sciences. 2014
- – Audrey L. Anton ,
- Kant on Irresistible Inclinations: Moral Worth , Happiness ,and Belief in God , Minerva – An Open Access Journal of Philosophy (2015
- – Derk Pereboom ,
- Kant On Transcendental Freedom , by Blackwell Publishing Ltd, 2006 .
- – Ezulike Benjamin Ofodile ,
- Kant on the question of the Existence of God: From Destruction to Affirmation , Seminar, phd, UCL–Belgium , 2013
- – Chris L. Firestone ,
- Kant and Theology at the Boundaries of Reason , Trinity International University, USA , 2009
- –Peter Byrne ,
- Kant on God , by mpg books ltd , bodmin , cornwall, King's College London , UK, 2007